الخاتمة

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

الخاتمة

الحمد لله الذى به تتم النعم، وتكتمل الصالحات، أما بعد:

تناول البحث الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ انطلاقتها فى كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٧، وحتى اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولي عام ١٩٨٧، حيث كرست الانتفاضة انتقال مركز الثقل فى النضال الوطني الفلسطيني من خارج الأرض المحتلة إلى داخلها لتشكل فاصلاً بين مرحلة وأخرى على جميع الأصعدة.

وقد تعرض الباحث للفترة السابقة منذ أن تبلورت فكرة تأسيس حركة القوميين العرب عام ١٩٥١، على يد مجموعة من طلاب الجامعة الأمريكية ببيروت، والتى أورثت الجبهة الشعبية هياكل تنظيمية ومادة بشرية من جمهور، وقواعد، وكوادر، وقيادات، بما فى ذلك أبرز قيادات الصف الأول فى حركة القوميين العرب.

وفى ١١ كانون الأول/ ديسمبر ظهرت إلى الوجود الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ونشأت هذه الجبهة من اندماج أربع مجموعات هى: منظمة أبطال العودة، وجبهة التحرير الفلسطينية، ومنظمة شباب الثأر، ومجموعة من المستقلين.

ولم يلبث هذا الاتحاد أن انهار بسرعة، لعدم انسجامها فكرياً، أيديولوجياً، وسياسياً، وتنظيماً فاقتصر اسم الجبهة الشعبية على مجموعة واحدة كانت تعمل سابقاً تحت اسم شباب الثأر، وهو التنظيم الفلسطيني فى حركة القوميين العرب، وهذا يعني أن الجبهة الشعبية عند انطلاقتها كانت عبارة عن الحصيلة التاريخية لحركة القوميين العرب، وإن جرت تبدلات عميقة نشأت فى مجرى التحولات السياسية العربية المتلاحقة، حيث تخلت عن الخط القومي التقليدي وتبنت

الماركسية – اللينينية.

وقد توصلت هذه الدراسة إلى الكثير من النتائج والتوصيات من أهمها:

– إن حركة القوميين العرب لم ترفع شعار الاشتراكية العلمية عند تأسيسها، ولم تتناول موضوع الصراع الطبقي، ورأت أن هذه الشعارات مؤجلة لما بعد تحرير فلسطين، وجاءت عملية التحول بعد أن وقع حدثان مهمان أثرا على تفكير الحركة. الحدث الأول: انهيار الوحدة المصرية السورية عام ١٩٦١ رأت فيه الحركة مؤامرة حاكتها القوى الرجعية والبرجوازية ضد الوحدة، فبدأت تغرس فى تفكيرهم مسألة الطبقية. أما الحدث الثانى: فقد تمثل فى صدمة الخامس من حزيران/ يوليو ١٩٦٧، والتى بلورت فى ذهن قيادات الحركة أهمية النضال القطري ضمن الإطار القومي وأهمية المسألة الطبقية. وهذان الحدثان مهدا الطريق لتأسيس الجبهة الشعبية، وإعلان تبنيها لنظرية الطبقة العاملة، النظرية الماركسية– اللينينية.

– عند تأسيس الجبهة الشعبية بعد هزيمة حزيران / يونيو، كانت التطلعات بضم هذه الجبهة كافة التنظيمات المقاتلة آنذاك، وإيجاد جبهة وطنية، ولكن هذا التشكل تعثر نتيجة خلافات سياسية وأيديولوجية فى وجهات النظر، وفى ضوء ذلك تخلت الجبهة الشعبية عن سعيها لإيجاد الجبهة الوطنية؛ لأنها رأت فى منظمة التحرير الفلسطينية بخطوطها العريضة بديلاً عن ذلك.

– يعتبر توجه الجبهة الشعبية وغيرها من فصائل منظمة التحرير نحو الانحرافات الاستراتيجية واتجاهها، وفصل القضية الفلسطينية عن بعدها العربي القومي من أخطر الانحرافات الاستراتيجية التى واجهتها، ولعل هذا الخطأ قد دفع بالقيادات الفلسطينية إلى توقيع اتفاقيات أوسلو فيما بعد، وما تلاها من مفاوضات وتنازلات.

- مثلت مجموعة الانشقاقات التى منيت بها الجبهة الشعبية انعكاسات سلبية عليها وعلى الثورة الفلسطينية بشكل عام. إذ فقدت الكثير من كوادرها السياسية والعسكرية، بالإضافة إلى الأثر النفسي، وردود الفعل السلبية لدى الجماهير. إذ كانت هذه الانشقاقات قائمة على أساس مواقف شخصية وفكرية لا على أساس مصلحة الثورة الفلسطينية.

- استمرت الجبهة الشعبية منذ تأسيسها دون نظام داخلي، واعتمدت على تجربة التنظيم الأم « حركة القوميين العرب فى ممارسة علاقاتها التنظيمية الداخلية حتى عام ١٩٦٨، ثم اعتمدت على الوثيقة الاستراتيجية السياسية والتنظيمية التى أصدرتها الجبهة عام ١٩٦٩، ورسمت لها الخطوط النظرية العامة التى يسترشد بها التنظيم، وظلت الجبهة معتمدة على هذه الوثيقة حتى انعقاد مؤتمرها الوطني الثالث عام ١٩٧٢، والذى تم فيه صياغة أول نظام داخلي خاص بالجبهة، متضمناً المبادئ الأساسية والبناء التنظيمي التى أوجدت به الجبهة نظاماً هرمياً رصيناً.

- تعتبر الشروط القاسية التى وضعتها الجبهة الشعبية فى نظامها لشروط العضوية مثل: موافقة العضو على برنامج الحزب ونظامه الداخلي، والانتماء إلى إحدى المنظمات الحزبية من الأسباب الرئيسية التى قللت من فرص استقطاب أعضاء جدد فى التنظيم، ووضعت العراقيل الذاتية التى أعاقت التوسع التنظيمي للجبهة.

- كانت المبادئ والشعارات التى تبنتها الجبهة الشعبية فى نظامها الداخلي أقرب إلى العقلية العسكرية؛ وذلك لأن برنامجها ونظامها أقر فى مرحلة طغى عليها النضال العسكري، وكان الشعار السائد لحركة المقاومة آنذاك « لا صوت يعلو فوق صوت البندقية» « والسياسة تنبع من فوهة البندقية»، لذلك انعكست هذه

الشعارات على فكر الجبهة بشكل عام.

- تعددت مصادر تمويل الجبهة الشعبية، وقد اعتمدت الشعبية فى تمويلها - بشكل كبير - على التبرعات التى كانت تجمع من قبل أنصارها فى العالم، ولم تلتزم الجبهة بنص المادة ٢٦ من الميثاق الوطني الفلسطيني بتوحيد مصادر التمويل من خلال الصندوق القومي الفلسطيني التابع لمنظمة التحرير؛ وذلك لأنها خرجت من أطر منظمة التحرير ومؤسساتها في فترات مختلفة.

- عارضت الجبهة الشعبية المظاهر الاستعراضية فى الكفاح المسلح، وانتقدت جنوح بعض التنظيمات خاصة حركة فتح إلى توجيه نمط قتالها نحو تجييش القوات الفلسطينية، كما حذرت بعض الفصائل من التضخيم، والمبالغة فى قدرتها العسكرية، وتهويل حجم عملياتها، وأرجعت الجبهة ذلك لرغبة من هذه الفصائل فى تحقيق شعبية جماهيرية من أبناء الشعب الفلسطيني والحصول على المساعدات المالية.

- طرحت الجبهة الشعبية فى استراتيجيتها العسكرية مسألة إيجاد قواعد الارتكاز فى بعض دول الطوق، إلا أنها فشلت فى تحقيق ذلك بالرغم من أهمية هذه الرؤيا، كذلك لم تستطع حشد الجماهير الفلسطينية، وتأطيرها، وتعبئتها بالقدر التى كانت تطمح إليه.

- امتلكت الجبهة الشعبية وسائل دعائية وإعلامية متعددة ومتنوعة، روجت بها لنفسها، وأبرزت خصوصيتها، وقد شكلت مجلة الهدف – الصحيفة المركزية الناطقة بلسان الجبهة – جزءاً من البنية الإعلامية للجبهة، وقد التزمت الجبهة الشعبية على الصعيد الإعلامي لمنظمة التحرير« بدائرة الإعلام الموحد » إلا أن هذه الدائرة لم تكن فاعلة؛ بسبب هيمنة حركة فتح عليها. ويلاحظ أن معظم نشرات

الجبهة وصحفها صدرت فى وقت متقارب ومتقطع؛ بسبب عدم استقرار أوضاع الجبهة الشعبية فى أماكن تواجدها، وانشغالها فى معارك جانبية فى الأردن، ولبنان، ودمشق، الأمر الذى أثر سلباً على إعلامها، وملاحقة السلطات فى تلك الدول لنشاط الجبهة بشكل عام.

- لقد حال التنفيذ غير السليم للوحدة الوطنية دون تطبيق العديد من الخطط السياسية والعسكرية للثورة الفلسطينية، ولم تتحقق الوحدة الوطنية أو التعايش بين الفصائل إلا مع اشتداد الخطر على منظمة التحرير، وتأكد ذلك فى حزيران/ يونيو، وأيلول/ سبتمبر ١٩٧٠، وتموز/ يوليو١٩٧١ خلال الصدام المسلح مع الأردن، وآيار/ مايو١٩٧٣، وخلال الحرب الأهلية فى لبنان التى انفجرت فى نيسان / أبريل ١٩٧٥.

- ظل الحوار بين الفصائل الفلسطينية مشفوعاً بالوساطة الداخلية أو العربية، أكثر الوسائل شيوعاً فى حسم الخلافات بين الفصائل، فإن لم تنجح هذه الوسائل كانت تحصل الانشقاقات، أو الخروج المؤقت عن مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية وأطرها.

- رغم انضمام الجبهة الشعبية مع فصائل المعارضة، وتشكيل جبهات وتحالفات ضد قيادة منظمة التحرير الفلسطينية، فإنها ظلت ترسم لمعارضتها أفقاً سياسياً من نوع تصحيح نهج منظمة التحرير، أو تجذير خطها الكفاحي، أو تصويب مواقفها السياسية، دون أن تلجأ إلى معارك وصدام مع منظمة التحرير، أو مع حركة فتح المهيمنة على المنظمة.

- مثلت الجبهة الشعبية التيار الوطني فى حركة التحرير الوطني الفلسطيني، وشكلت باستمرار قوة للتصدي والمجابهة الرئيسية لكل المشاريع السياسية التى

كانت تستهدف ضرب القضية الوطنية، وخاضت الجبهة نضالاً سياسياً عنيداً ضد انزلاق قيادة منظمة التحرير الفلسطينية نحو التسوية، وهى ما تزال تخوض هذا النضال، وأن ما ميز الجبهة عن غيرها من التنظيمات هو أنها كانت تقف باستمرار على يسار الموقف الرسمي لقيادة منظمة التحرير، خاصة عندما كانت منظمة التحرير تقبل التعاطي مع الحلول الأمريكية، ولكن كانت الجبهة تكتفي بتسجيل الموقف السياسي الاستراتيجي دون أن تربط موقفها الاستراتيجي بموقف تكتيكي على ضوء مجموعة العوامل، وفى مقدمتها ميزان القوى والظروف العربية والدولية المحيطة.

- رغم كل العوامل والأحداث المعيقة، فقد مارست الجبهة الشعبية نضالها ونشاطها العسكري المكثف، ونفذت العديد من العمليات العسكرية المميزة ضد الاحتلال الإسرائيلي، وإذا كانت حرب الاستنزاف الأردنية قد أضعفت فاعلية عمليات الجبهة عبر الحدود الأردنية دون أن تستطيع إيقافها، فإن عمليات الجبهة العسكرية استمرت بلا انقطاع عبر الحدود اللبنانية، والسورية، وداخل الأرض المحتلة. كما اشتهرت الجبهة وتميزت بقيامها بعمليات خطف الطائرات، ونقل المعركة مع إسرائيل إلى المسرح الدولي، ورغم ما أحدثته هذه العمليات من ضجة عالمية، قوبلت باعتراضات كبيرة على الصعيدين العربي والعالمي، وخلقت صعوبات أمام الجبهة فى علاقاتها مع القوى فى العالم، فإن هذه العمليات أبرزت الجبهة الشعبية، وحققت الجبهة فى تلك الفترة قفزة قوية لتولي الصدارة بين التنظيمات الفلسطينية، كما مكنت الثورة من إيصال حركة المقاومة الفلسطينية إلى الرأى العام العالمي، ولفت نظر العالم إلى المشكلة الفلسطينية بالرغم من الحصار الإسرائيلي.

- كان للأردن دور سياسي وعسكري موجه نحو قمع وعرقلة نمو أى نهوض وطني فلسطيني، والتصدي له قبل أن يأخذ دوره الفعال ضد إسرائيل، هذا بالإضافة إلى مهمة عزل أطول حدود المواجهة مع إسرائيل، للحد من تشكيل أى خطر جدي ضد الوجود الصهيوني.

- كانت علاقات الجبهة الشعبية مع الدول العربية تختلف من نظام إلى آخر، فكانت علاقاتها علاقة تصادم مع النظام الأردني واللبناني رغم أهمية هذه الساحات بالنسبة للثورة الفلسطينية، وعلاقة تحالف وصراع مع مصر وسوريا على الرغم من أنهما من الأنظمة العربية الوطنية، حيث تحمَّلان أكبر العبء فى مواجهة إسرائيل بعد هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧.

- عجزت الجبهة الشعبية عن التطور إلى درجة مهمة؛ وذلك لأنها لم تستجب للمتغيرات فى محيطها المحلي، والإقليمي، والدولي، إضافة إلى التوترات الأيديولوجية، والانشقاقات التنظيمية وبقائها على قيادة واحدة، وهذه الأسباب أدت لإخفاقها فى النهاية كمنظمة سياسية، وقد ظهر ذلك بصورة جلية قياساً ببراغماتية حركة فتح بزعامة ياسر عرفات، والتى سيطرت على منظمة التحرير منذ عام ١٩٦٩.

وبشكل عام مثلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين خلال الفترة ما بين ١٩٦٧-١٩٨٧ القوة الفلسطينية الأساسية المتصدية لنهج التسوية فى الساحة الفلسطينية، كما مثلت بشكل عام قوة رئيسية ضمن التيار الثوري المعادي جذرياً للصهيونية الإمبريالية والرجعية العربية، وكانت الجبهة التنظيم المكافح من أجل تنظيم العلاقات بين فصائل المقاومة فى إطار منظمة التحرير الفلسطينية على أسس ديمقراطية سلمية.

وإن إخفاق منظمة التحرير الفلسطينية فيما وصلت إليه من مأزق يعني أيضا إخفاقاً للجبهة الشعبية، باعتبارها الفصيل اليسارى الأبرز والأقوى فى الساحة الفلسطينية، كذلك تعتبر الجبهة الشعبية شريكاً مباشراً ومؤثراً فى إنجازات منظمة التحرير الفلسطينية؛ لأنها شاركت مع كل القوى فى الثورة فى كل المحطات الأساسية التى مرت بها القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية.

وأخيراً فإننا نرى ضرورة الحفاظ على وحدة منظمة التحرير الفلسطينية، والتى تتم عبر طريق واحد، وهو التمسك والالتزام ببرنامج الإجماع الوطني، برنامج العودة، وتقرير المصير، وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس، وبدون ذلك لا يمكن أن يكون الشعب الفلسطيني أمام وحدة وطنية حقيقية، فترتيب البيت الفلسطيني الداخلي، وصيانة البناء الداخلي الذى يعانى من تصدعات حادة هو شرط أساسي لصيانة الوحدة الوطنية، وحماية القضية الفلسطينية من الانتهاك. وكذلك لا يمكن أن يتم ترتيب البيت الداخلي إلا على أساس ديمقراطي، وتشكيل هيئات منظمة التحرير الفلسطينية على أساس تمثيل ديمقراطي، والتخلص من التفرد والفئوية، وكذلك توجيه الإمكانيات والطاقات المالية التى تمتلكها منظمة التحرير الفلسطينية باتجاه دعم صمود الشعب الفلسطيني فى ثورته ضد الاحتلال. وربط حركة المقاومة ربطاً مصيرياً ببعدها العربي، باعتبار أن تحرير فلسطين هو جزء من قضية عربية شاملة. وليس معنى هذا الربط التورط فى انتماءات أو صراعات حزبية معينة، وإنما معناه الارتباط – كما حدث بالنسبة للثورة فى الجزائر- بالاتجاه الأكثر تقدماً فى الحركة الجماهيرية العربية، والالتزام ببرنامج سياسي اجتماعي محدد الأهداف، يستطيع أن يجذب من حوله أوسع وحدة وطنية ممكنة للشعب الفلسطيني، وخاصة فى قطاع غزة والضفة الغربية، من خلال فتح حوار جدي

ومنظم بين فصائل الثورة الفلسطينية، بهدف وضع الخطوط العامة لرؤية استراتيجية واضحة نحو التحرك الفلسطيني، بحيث تقوم فى الساحة الفلسطينية وحدة برامج تجعل كل تحرك يقوم به أى طرف مكملاً لما يقوم به الطرف الآخر، وأن ينصب كل تحرك سياسي أو عسكري فى الهدف الذى تفرضه المرحلة، وكل هدف مرحلي يتم إنجازه يصب فى الهدف الاستراتيجي.

ويجب أن لا تحول الخلافات بين الفصائل الفلسطينية مهما اشتدت دون النضال ضد الاحتلال الإسرائيلي. فالوحدة الوطنية هى أكثر الشروط أهمية وإلحاحاً، من أجل إحراز النصر، وبدون الوحدة تتقلص الإنجازات، بل تغيب احتمالات هذا النصر.

obeikan.com